# مآتمنا .. من سنّة نبينا

بقلم : سليمان المدني

**لا اريد فى هذه المقالة ان اتكلم عن ذكرى الحسين ( ع ) ابن على عليهما السلام فالحسين غنى عن ذلك اولا ، ولعجزى عن الكلام عنه ثانيا ٠**

**وما عساى ان ابلغ من القول فى شأنه ، هو اجل وارفع من كل ما قيل فى مدحه ومصابه اجل وافظع من كل ما قيل فى تابينه ، وتضحيته فى سبيل الله والامة اعظم وابلغ من ان يتمكن من تقديرها احد غير الله جل شأنه ٠**

حسب الحسين فخرا ان يكون احد الابنين المنعوتين فى أية المباهلة، وحسبه رفعة ان يكون خامس اصحاب الكسا الذين شهد القرآن بطهارتهم ، ويكفيه درجة فى القربى ان يقول فيه رسول الامة الذى لا ينطق عن الهوى : حسين منى وانا من حسين ، وحسين سبط من الاسباط وحسب الحسين شرفا ان يكون نبعه محمد المصطفى (ص) وسليل فاطمة الزهراء وابن على المرتضى واخى الحسين المجتبى ووالد أئمة الهدى

لم امسك القلم اذا لاكتب عن الحسين عليه السلام ، وانما لاكتب عنا نحن شيعة الحسين ومحبيه ، فطالما نبزتنا الجهالة بالسذاجة ، واتهمتنا الناصبة بالغلو ، لاستمرارنا فى تكرار فاجعة الطف بهذه الصورة الراتبة المتجددة عاما بعد عام ٠ حتى ضاقت بنا صدور قوم لو يعملون ما نعلم لكانوا اكثر مواظبة منا فى تجديد المآتم واستمرار الحزن والكآبة ولو شعروا ببعض ما نشعر به لماتوا قبلنا هما وكمدا ٠

عن سلوكنا نحن محبى الحسين اريد ان اكتب وعن سيرتنا امسكت بقلمى لادافع ، ولوجهة نظرنا احاول ان اشرح وابين :

كيف نتمكن ان لانحب اهل البيت عليهم السلام اشد من حبنا لانفسنا واهلينا اذا كنا نحب الله ورسوله ، مع انتسابهم الى صاحب الرسالة الخاتمة نسبا وصهرا وقد علمنا يقينا انه قال: ( كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة الا سببى ونسبى ) ( وانهم احب خلق الله الى الله ورسوله ) كما جاء فى حديث الراية وحديث الطير ٠ وان محبتهم ومودتهم اجر الرسالة بنص كتاب الله واجماع المسلمين : ( قل لا أسالكم عليه اجرا الا المودة فى القربى ) وان المسلمين مسئولون يوم القيامة عن محبتهم وموالاتهم ونصرتهم ، كما جاء فى قوله تعالى : ( وقفوهم انهم مسئولون ) ٠

وكيف لا يكونون بهذه المنزلة مع ان القرآن لن يفترقوا عنه الى يوم القيامة بنص حديث الثقلين ، وهم سفن نجاة الامة ، وأمان اهل الارض وصنائع الله فيها ، كما انهم عنوان صحيفة المؤمن الذين تتوقف اجابة دعوته من قبل ربه على الصلاة عليهم كما تتوقف صحة الصلاة المفروضة على ذلك ٠

وكيف لا يكونون بهذه النزلة مع ان العبد لا يكون مؤمنا بالله ورسوله حتى يكونوا احب اليه من نفسه وعترته واهله ، بل لا ينتفع بأعماله فى الاخرة الا اذا اقترنت بحبهم وولايتهم الا تأخذ كل هذه الامور مع ما امتازوا به من الكمالات الذاتية والاخلاق الربانية وحب التضحية والفداء الا يأخذ كل ذلك بمجامع قلوبنا الى حبهم وولائهم ، وتعطينا يقينا ان حبنا وان خالط الدماء يقصر عن شأو هذه الدواعى ، ويبعد عن حدود تلك الجهات المختصة بهم بملايين من المراحل والدرجات ، وانى لنا ان نبلغ الواجب من موالاتهم محبتهم وهو مرتبط بحب الله سبحانه ومتفرع عنه ونابع منه ٠

واى محب يستطيع ان يمسك نفسه عن مشاركة احبائه واودائه فى المسرات والاحزان والافراح والاتراح ، وما يمر بهم من مناسبات ٠

هذا هو حبنا لاهل البيت النبوى الطاهر نعلنه ولا نخفيه ، نظهره ولا نكتمه ، نبديه ولا نستره ، قد بيننا اسبابه وشرحنا بعض موجباته ، وكل من دان بشريعة المصطفى يشاركنا فيه،

اما لماذا نقيم هذه المآتم ونقوم بهذه الاحتفالات عاما بعد عام وجيلا اثر جيل ، سؤال طالما طرح علينا : طرحته الناصبة المرجفة لترمينا بالابداع والخروج من ربقة الدين وطرحه كثير ممن رسى فى قلبه حب اهل البيت بسبب ما علق فى ذهنه من شبهات المرجفين او غفلة عما ورد فى سنة سيد المرسلين ومن اجل ازالة شبهة المغضن وتذكرة للمؤمنين اقول :

نعم نحن نقيم هذه المآتم على وجه العبادة والتقرب بها الى الله سبحانه وتعالى لانها سنة نبوية ، فعلها الرسول صلى الله عليه وآله ابتداء من يوم مولد الحسين (ع) واخذ يكررها حينا بعد حين وعاما بعد عام ، تارة فى بيت فاطمة واخرى فى بيوت نسائه وثالثة فى مسجده ومجامع صحابته ، وعلى رغم محاولة الامويين من طمس آثارها فقد نقل لنا علماء الامة وحفاظ السنة الشىء الكثير عن هذه المآتم التى اقامها (ص) لحفيده وسبطه سيد الشهداء مع ان الحادث لما يقع والحسين لما يقتل ٠

ولعل اول هذه المآتم المآتم الذى اقامه ( ص ) يوم مولد الحسين فقد اخرج الحافظ احمد ابن الحسين البيهقى بسنده صحيح عن ابى القاسم عبدالله ابن احمد ابن عامر الطائى عن على بن موسى الرضى عن آبائه عن على ابن الحسين عليهم السلام عن اسماء بنت عميس ( رض ) قالت : قبلت لجدتك فاطمة بالحسن والحسين ـ الحديث بطوله ـ الى ان قالت : « فلما ولد الحسين فجاءنى النبى ( ص ) فقال يا اسماء هاتى ابنى فدفعته اليه فى خرقه بيضاء فادن فى اذنه اليمنى واقام فى اليسرى ثم وضعه فى حجره وبكى ، قالت اسماء : فداءك ابى وامى مم بكاؤك قال على

ابنى هذا قلت انه ولد الساعه قال يا اسماء يقتله الفئة الباغية لاانالهم الله شفاعتى ٠ قال يا اسماء لا تخبرى بذلك فاطمة فانها حديثه عهد بولاده ـ واخرجة الحافظ ابو المؤيد الحوارزمى فى المقتل باسناده عن الحافظ البيهقى ورواه الحافظ محب الدين الطبرى فى ذخائر العقبى نقلا عن مسدد الامام الرضى ٠

واخرج الحافظ الحاكم النيسابورى فى ( المستدرك الصحيح ) بسنده عن ابى عمار شداد ابن عبد الله عن ام الفضل بنت الحارث : ( انها دخلت على رسول الله ( ص ) فقالت : يا رسول الله انى رايت حلما منكرا قال : وما هو قالت : انه شديد ، قال : وما هو ، قالت : رأيت قطعه من جسدك قد قطعت ووضعت فى حجرى ٠ قال رسول الله ( ص ) : رأيت خيرا تلد فاطمه ان شاء الله غلاما يكون فى حجرك ٠ فولدت فاطمة الحسين فكان فى حجرى كما قال رسول الله ( ص ) فدخلت يوما على رسول الله ( ص ) فوضعته فى حجره ثم حانت منى التفاته فاذا عينا رسول الله ( ص ) تهريقان من الدموع قالت : فقلت يا نبى الله بابى انت وامى مالك قال : اتانى جبريل عليه الصلاه والسلام فاخبرنى ان امتى ستقتل ابنى هذا ، قلت هذا فقال نعم واتانى بتربة من تربته حمراء ٠ قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ٠ واخرجه فى موضع آخر من كتابه عن محمد ابن مصعب قال ثنا الاوزاعى عن ابى عمار عن أم الفضل قالت : قال لى رسول الله (ص) والحسين فى حجره ان جبريل ( ع ) اخبرنى ان امتى تقتل الحسين ٠ فقال ان ابن ابى سمينة قد اختصر هذا الحديث ٠

ولقد صار الاحتفال بيوم مولد الحسين يوم حزن عند اهل البيت فى عهد رسول الله ( ص ) تتنزل فيه الملائكة عليه بالتعزيه لا با لتهنئة ، فقد ذكر ابو الموفق الخوارزمى الحنفى فى كتابه ( مقتل الحسين ) من رواية : « ولما اتى على الحسين من مولده سنة كاملة هبط على رسول الله ( ص ) اثنى عشر ملكا محمرة وجوههم قد نشروا اجنحتهم وهم يقولون يامحمد سينزل بولدك الحسين ما نزل بهابيل من قابيل وسيعطى مثل اجر هابيل ويحمل على قاتله وزر قابيل ، ولم يبق فى السماء ملك الا ونزل على النبى ( ص ) يعزيه بالحسين بثواب ما يعطى ويعرض عليه تربته ، والنبى ( ص ) يقول : (اللهم اخذل من خذله واقتل من قتله ولا تمتعه بما طلبه ) قال ابو الموفق فى روايته : ( ولما اتت على الحسين ( ع ) من مولده سنتان كاملتان خرج النبى ( ص ) فى سفر فلما كان فى بعض الطريق وقف فاسترجع ودمعت عيناه فسئل عن ذلك فقال هذا جبريل يخبرنى عن ارض بشاطىء الفرات يقال لها كربلاء يقتل فيها ولدى الحسين ابن فاطمه ) فقيل من يقتله يارسول الله فقال رجل يقال له يزيد لابارك الله فى نفسه وخانى انظر الى منصرفه ومدفنه بها وقد اهدى راسه والله ما ينظر احد الى راس ولدى الحسين فيفرح الا خالف الله بين قلبه ولسانه ٠ )

على ان اقامته ( ص ) المأتم على سبطه الحسين لم تكن مقتصره على يوم الاحتفال بذكرى مولده ، بل كان دائبا ومواظبا على اقامه التعزيه والبكاء عليه فى بيوت امهات المؤمنين ومجامع الصحابه

ولما كان نقل كل هذه المجالس لا تتسع له هذه العجالة فقد رأيت ان اشير الى مصادرها واقتصر على نقل مجلسين منها

وهذه المصادر هى : المستدرك للحاكم النيسابورى ، والمعجم الكبير للحافظ الطبرانى وتاريخ الشام لابن عساكر والمسند للامام احمد ابن حنبل ، والمجمع للهيثمى، والصواعق لابن حجر ، ودلائل النبوة للبيهقى ، والمناقب لابن المغازلى الواسطى ، ومقتل الحسين لابى المؤيد الموفق الخوارزمى الحنفى ، والمصنف للحافظ الكبير ابى بكر ابن شيبه والدلائل لابى نعيم والطبقات الكبرى لابن سعد ٠

ونختم موضوعنا بذكر مجلسين اقامهما النبى ( ص ) فى مجمع من الصحابة :

الاول ـ اخرج الحافظ الطبرانى فى المعجم تارة بسنده عن سليم ابن منصور بن عمار عن ابيه عن عبد الله ابن عمر ابن العاص واخرى بسند عن ابى قبيل عن عبد الله ابن عمر ابن العاص ان معاذ ابن جبل اخبره ، قال : ( خرج علينا رسول الله ( ص ) متغير اللون فقال : انا محمد اوتيت فواتح الكلم وخواتمه فاطيعونى مادمت بين اظهركم فاذا ذهب بى فعليكم بكتاب الله عز وجل احلوا حلاله وحرموا حرامه اتتكم الموته اتتكم بالروح والراحة كتاب الله من الله سبق اتتكم من حفظ الليل المظلم ذهب رسل جاء رسل تناسخت النبوة فصارت ملكا رحم الله من اخذها بحقها وخرج منها كما دخلها ٠ امسك يا معاذ فاحص قال: فلما بلغت خمسة قال يزيد لا بارك الله فى يزيد ثم ذرفت عيناه ثم قال : نعى الى الحسين واتيت بتربته واخبرت بقاتله والذى نفسى بيده لا يقتل بين ظهرانى قوم لا يمنعوه الا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم وسلط عليهم شرارهم والبسهم شيعا ٠ ثم قال واها لفراخ آل محمد من خليفة مستخلف مترف يقتل خلفى وخلف الخلف ٠ )

وذكر ابو المؤيد الخوارزمى فى مقتل من رواية : ( ثم رجع النبى من سفره ذلك مغموما فصعد المنبر فخطب ووعظ والحسين بين يديه مع الحسن فلما فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسين ورفع رأسه الى السماء وقال : اللهم انى محمد عبدك ونبيك وهذان اطائب عترتى وخيار ذريتى وارومتى ومن اخلفهما بعد اللهم وقد اخبرنى جبريل بأن ولدى هذا مقتول مخذول اللهم فبارك لى فى قتله واجعله من سادات الشهداء انك على كل شىء قدير اللهم لاتبارك فى قاتله وخاذله ٠ ) قال فضج الناس فى المسجد بالبكاء فقال النبى اتبكون ولا تنصرونه اللهم فكن له انت وليا وناصرا ٠ )

فاخبرونا يا اولى الالباب عن قصد الرسول ( ص ) من المثابرة على النوح واقامة المأتم هذا والحسين لم يقتل ويزيد لم يولد ثم ما معنى انزال الملائكة عليه للتعزية فى كل مناسبة وحين اذا لم يكن القصد من ذلك جعلها سنة نبوية جارية مدى الدهور والاباد اليس فى رسول الله للمؤمنين به اسوة حسنة وكيف يكون من تابع النبى فى فعل كرره اكثر من ست سنين وكأنه يوحى لامته المواظبة عليه كيف يكون بدعة بعد وفاته ويعد فاعله مشركا ٠

وختاما اسأل العلى جل اسمه ان يجمع شملنا على الهدى ويوحد كلمتنا على التقوى انه سميع مجيب بحق محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ٠

سليمان المدنى